

الابتكار المعرفي عبر النصوص الدينية: التناس بين القرآن والكتاب المقدس نموذجاً

محمد يوسف ستياوان

قسم تعليم اللغة العربية، كلية التربية وتكوين المدرسين، جامعة والي سونجو الإسلامية الحكومية

199602242025051006@walisongo.ac.id

الملخص:

لقد أصبحت التوترات الدينية والإنسانية العالمية مشكلةً خطيرة في الآونة الأخيرة، حيث تشمل أمماً متدينة في أصلها ولها علاقات وثيقة نسبياً. وقد اتخذت استجابات عديدة من مختلف أنحاء العالم وفي شتى المجالات للحدّ من هذه الفوضى. وفي المجال العلمي ودراسات الأديان، تبرز الحاجة إلى دراسة التناس بين القرآن الكريم وكتب اليهود والنصارى المقدسة. وتهدف دراسة هذا التناس إلى البحث عن نقاط الالتقاء بين مختلف الأمم، دون إغفال أن هذا الصراع أعقد بكثير من مجرد توتر ديني. وقد تبين في هذه الدراسة أن التناس، بوصفه جانباً مهماً في الدراسات البلاغية السامية، قد أظهر أن في سورة المائدة صلاتٍ قوية مع عدد من النصوص المقدسة لدى اليهود والمسيحيين. فالقرآن الكريم يتواصل معها دائماً، ولا ينفي علاقته بها، ويسعى جاهداً لتجاوزها لبناء لغة دينية جديدة تحتوي على الحد الأدنى من الانسجام بين مختلف الأديان، وذلك في إطار العهد الذي أُشير إليه في بداية سورة المائدة وختامها.

الكلمات المفتاحية: التناس، القرآن الكريم، الكتاب المقدس، البلاغة السامية، الدين.

المقدمة

تتبع بنية النصوص والخطابات عادةً نموذجاً محدداً يستخدمه الكتّاب والمؤلفون، لكن من يُمعن النظر في بنية القرآن الكريم يجد أنه لا يتبع بنيةً منتظمة. فهو لا يتبع نمطاً خطياً واضحاً في بنيته كما هو الحال في غيره من الكتب؛ إذ يبدأ بمقدمة، ثم بشرح تدريجي حسب عناصر الموضوع وحله، ثم ينتهي بخاتمة. وقد أثار هذا البناء الفريد للقرآن جدلاً واسعاً عبر التاريخ، مما أثار شكوكاً حول معجزاته كما ذكرها الكتّاب في مجال معجزاته (الباقلائي، ١٩٩٧، ص 6-8).

في العصر الحديث، اعتبر المستشرقون أن أسلوب القرآن مُفكك، وبنيته رديئة، ومحتواه صعب القراءة والفهم. واعتُبر القرآن مفتتاً للمعلومات، واهتموه بالانتحال، فاعتمدوا النقد التاريخي

في دراساتهم).نولدكه، ٢٠٠٤، ص ٤٤٣-٤٤٤)وفي التاريخ الإسلامي نفسه كانت مشكلة بنية القرآن موضع نقاش جدي منذ القدم من قبل عدد من العلماء أمثال أبو بكر الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني والراغب الأصفهاني ورغم أن دراسة بنية القرآن كانت محل اهتمام العلماء السابقين لارتباطها الوثيق بمفهوم معجزة القرآن، إلا أن التاريخ يبين أنه لا توجد صورة عامة لنظرية شاملة بشأن بنية القرآن وأسباب وجودها تختلف عن بنية الكتابات بشكل عام.

يمكن استخدام التطور العلمي المستمر، بما في ذلك اللغويات والأدب، كمنهجية جديدة لفهم القرآن الكريم. وتستلزم القيود المنهجية صياغات جديدة لتفسير القرآن الكريم. ويمكن ربط هذا المطلب الجديد بتحول جذري في الدراسات القرآنية عمومًا، من قراءات كانت تركز سابقًا على النصوص أو فقه اللغة الكلاسيكي والدراسات التاريخية إلى توجه جديد يتعلق بالتاريخ والواقع الاجتماعي. ومن المتوقع أن تبدأ هذه القراءات، على الأقل، باستكشاف مختلف الأشكال والهياكل الأدبية، وعلم الدلالة، وعلم الأسلوب، وعلم العلامات، وحتى تحليل الخطاب في التفسير (الزبير، 2017، ص 2).

باعتباره كتاب المسلمين المقدس، يحتل القرآن الكريم مكانةً محوريةً في تطوير مختلف التخصصات العلمية. في العصر الحديث، حاول علماء المسلمين تفسير القرآن الكريم بمنهج متنوعة. على سبيل المثال، المنهج اللغوي، كمنهج أمين الخولي وبنيت الشاطبي، ثم المنهج التأويلي اللغوي، كمنهج نشر حامد أبو زيد وفضل الرحمن، والمنهج الدلالي التاريخي للغة القرآن الكريم، كمنهج توشيهيكو إيزوتسو (بوترا، ٢٠٢٠، ص ٢). لم يقتصر الاهتمام بدراسة القرآن الكريم من منظور لغوي على علماء المسلمين فحسب، بل امتد إلى المستشرقين أيضًا. ومؤخرًا، درس ميشيل كويرز الآيات القرآنية باستخدام التحليل البلاغي السامي.

استند ظهور البلاغة السامية إلى اتجاهين متعارضين في تقييم وحدة وانسجام بنية لغة القرآن الكريم. تُجادل الدراسات الإسلامية الكلاسيكية والحديثة بأن بنية القرآن الكريم تتسم بالوحدة والانسجام. في حين ترى معظم الدراسات الاستشراقية أن بنية القرآن الكريم مُفككة وغير متماسكة، مما يتطلب إعادة ترتيبها بما يتوافق مع المنطق. يرى ثيودور نولدكه، رائد النقد التاريخي للقرآن الكريم، أن القرآن الكريم مُفكك لأنه ينتقل من موضوع غير ذي صلة إلى آخر، ثم يعود إلى الموضوع الأصلي أو حتى لا يعود. كما يعتقد أن محمداً كان عليه أن يُمعن التفكير قبل أن يُنزل وحيه على العالم، لكنه لم يُعر أسلوب اللغة اهتماماً كبيراً (نولدكه، ٢٠٠٤، ٤٤٣-٤٤٤).

مع ذلك، في العقود الأخيرة من القرن الماضي، بدأ المستشرقون بإعادة النظر في وحدة النص القرآني. درسوا القرآن الكريم بمنهج تزامني، معتمدين على نظريات أدبية وبلاغية طُبِّقت سابقاً على العهدين القديم والجديد. ومع ظهور مدارس النقد الأدبي الحديثة المستخدمة في تحليل الأعمال الأدبية، بدأ افتراض وجود تفكك في القرآن الكريم، كما عبّرت عنه مدرسة النقد التاريخي للقرآن، يتلاشى. قبل كويرز، أجرى بيير كرابن دي كابرونا، وأنجيليكا نويرث، ونيل روبنسون، وماتياس زانيزر، وريموند فارين دراسات تزامنية للقرآن الكريم (المجود، ٢٠٢٠، ص ٤-٥).

تركز خصوصية التحليل البلاغي السامي في دراسة النصوص المقدسة على مبدأ التناظر. تؤدي شبيهة البنية في هذه النصوص إلى ثلاثة أشكال هيكلية: البنية المتوازية، والبنية المرآوية، والبنية الحلقية (متحدة المركز). البنية المتوازية المعنية هي تكرار العناصر ذات الصلة في نمط $AB/A'B'$ لهذا الشكل نفسه ثلاثة أنواع: التوازي المترادف، والتوازي المتضاد، والتوازي المركب، حيث يُكمل العنصر الثاني الأول. تشمل العلاقات بين هذه العناصر الترادف والتضاد والإثبات والنفي. قد يُكمل العنصر الثاني العنصر الأول في شكل تفسيرات، ووصف للنتائج، والاستثناءات، والشروط. قد تكون

العلاقات التي تم إنشاؤها أيضاً سببية، وتاريخية، وما إلى ذلك. لا توجد هذه العلاقات بين العناصر في البنى المتوازية فحسب، بل توجد أيضاً في البنى المرآوية والحلقية (كويبرز، ٢٠١٨، ص 18).

يتكون هيكل المرآة من أربعة عناصر أو أكثر، متتاليات متقابلة، تُشكل نمط AB/B'A' في هذه الحالة، يتكون هيكل حلقي إذا وُجد عنصر بين عنصرين متقابلين، يُشكل مرآة بنمط AB/X/B'A' (كويبرز، ٢٠١٨، ص ٢٣). بحسب كويبرز، يُعدّ هذا البناء الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم. وعادةً ما يتخذ شكل أسئلة، أو قوانين، أو أدلة، أو أمثلة تحت القارئ على التفكير واتخاذ موقف (كويبرز، ٢٠١٨، ص ٢١٤). ومن أمثلة هذا البناء سورة قريش التالية:

-﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
-الْفِهِم رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢
+فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣
=الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ ه٥ وَ
=أَمَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ٤ ﴿ (قريش/١٠٦: ٤-١)

تتكون سورة قريش من ثلاثة فروع، قاعدتها على شكل حلقة (كويبرز، ٢٠١٨، المجلد ١١٤). يتضمن القسم الأول تذكيراً لقريش بنعم الله في السفر في فصلي الشتاء والصيف. ويتضمن القسم الأخير كمال نعمتي القسم الأول، وهما الطعام والأمن. ويتضمن القسم الأوسط دعوة إلى عبادة الله، إذ يجب التعبير عن شكر هذه النعم بالعبادة.

يعتقد كويبرز أن سبب عجز المستشرقين عن فهم بنية القرآن هو قياسهم لبنية القرآن باستخدام البلاغة اليونانية، وهو ما يتعارض مع بنية القرآن اللغوية. ويرى أن بنية القرآن تحتاج إلى

دراسة من خلال التحليل البلاغي السامي. قبل كويبرز، أجرى العديد من العلماء المعاصرين دراسات حول بنية القرآن اللغوية، ومن بينهم عبد الحميد الفراجي في كتابه المعنون: "نظام القرآن" و "تأويل الفرقان بالفرقان" وأمين أحسن الإصلاحي في كتابه الأردية بعنوان "تدبر القرآن" وسعيد حواء بعنوان الأساس في التفسير وفي كتبهم يركز هؤلاء الثلاثة على أهمية السياق والبنية في فهم القرآن.

مراجعات الأدبيات

باعتبارها نظرية جديدة ونشأت من خارج المجتمع الإسلامي، لا يمكن فصل دراسة البلاغة السامية في القرآن عن الجدل. وقد وجد طارق مینزو في بحثه تناقضاً بين البلاغة السامية وقواعد التفسير الإسلامي، وخاصة من حيث رفضه استخدام أسباب النزول والنسخ في تفسير القرآن. وكما هو معلوم، جعل كويبرز النص محور دراسته ولم يتلق معلومات إضافية خارج النص المدروس، باستثناء التناص بين القرآن والكتاب المقدس. وتعتبر أسباب النزول معلومات خارج النص بحيث إذا لم تتوافق دلالات النص مع أسباب النزول فإنها تعطي الأولوية للنص. وفيما يتعلق بالنسخ، خلص إلى أن النسخ لا يقع بين آيات القرآن والآيات الأخرى، ولكن يقع بين القرآن والتوراة. وفي هاتين الحالتين على الأقل يقدم هذا معلومة مفادها أنه بالإضافة إلى دور البلاغة السامية القادرة على إظهار تماسك بنية السورة في القرآن، فإن البلاغة السامية لديها القدرة أيضاً على أن تكون غير متسقة مع قواعد التفسير التي استخدمها علماء التفسير كمرجع (ميزو، ٢٠١٨).

وبحسب أن سيلفي بواسليفو، فمن الواضح أن منهجية كويبرز لا تتكون ببساطة من النقل الأيديولوجي لبعض عناصر التفسير الكتابي إلى تفسير القرآن، بل تستخدم أدوات موضوعية أثبتت فائدتها لكل من الكتاب المقدس والقرآن: البلاغة السامية والتحليل النصي. "في نظم القرآن" (Fi Nazm al-Qur'an) لا يتسم بأسلوب عرضه الجامد أو الجاف الذي قد يتصوره المرء. بل يُسعد

القارئ بالعثور على تفسير شامل للسورة الخامسة (المائدة)، مدعوًا بتحليل نصوصي ثري، مستقى من التراث التوراتي. وتُستمد البيانات الناتجة في الغالب من منهج بلاغي متواصل، مقارنةً بالإثراء من مناهج التفسير الإسلامية الكلاسيكية والحديثة، التي يُمكنها بلا شك أن تُكمل التفسير في تطوير الدراسات النصية للقرآن الكريم التي تنظر إلى السورة كوحدة نصية (بواسليفو، ٢٠١٣).

على عكس بواسليفو، يُقدّم نيكولا سيّناي ملاحظاتٍ نقديةً على فكر كويرز. لا يخلو تحليل كويرز البنيوي من عيوبٍ في تفسيره غير المُقنع. لا يُمكن الوثوق بكويرز في تقديم تقييمٍ رصينٍ لمواضع نجاح تحليل البنية الحلقية للمادة القرآنية ومواضع فشله؛ فهو مُتحمسٌ للغاية لفكّ شفرة القرآن البلاغية. قد تُقتطع هذه المسوحات البنيوية وتُعدّل سرًا لتحقيق أقصى قدرٍ من التركيز. قد يُوحى استخدام كويرز للأحرف الخاصة مثل '=' و'+ و-' أحيانًا بفوضى طباعيةٍ مُعقّدة. لو أن دراسة كويرز قد أدّت يومًا ما إلى تأليف كتاب، لكان لعلماء القرآن سببٌ وجيهٌ لشكر مساهماته الرائدة، وإن كانت مُبالغًا فيها (سيّناي، ٢٠١٧).

وبعيداً عن كونها وثيقة الصلة بدراسات بنية النص التي أجراها الفراجي وغيره، فإن البلاغة السامية التي ردها كويرز في دراسة بنية القرآن لا يمكن فصلها عن الدراسات الأدبية للقرآن أو ما يسمى عادة بالتفسير البياني (الخولي، ١٩٩٦). يُعنى هذا المنهج التفسيري الأدبي بالجوانب البلاغية كمدخل لتجديد مناهج التفسير في العصر الحديث. ويرتبط هذا المنهج التفسيري، الذي كان رائده أمين الخولي وبنّت السيّثي، ارتباطًا وثيقًا بالتحليل البلاغي السامي، إذ يسعى كلاهما إلى إبراز جمال النص القرآني، وسبر أغوار البلاغة والأسلوب، ومراجعة سياق النص القرآني. ومن مميزات هذه الدراسة البلاغية السامية اهتمامها بالتناسل بين القرآن الكريم والكتب المقدسة السابقة، وخاصة كتب اليهود والنصارى.

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة التناس، وهو جانبٌ أساسيٌّ من الخطابة السامية، لاكتساب فهمٍ أعمق لبنية النص القرآني. ويمكن استخدام هذه الدراسة كدليلٍ على الصلة الوثيقة بين التعاليم الإسلامية والمسيحية واليهودية، مما يُرسي أساسًا لتخفيف التوترات الدينية والإنسانية العالمية التي جذبت انتباهًا عالميًا مؤخرًا، وخاصةً الصراع الإسرائيلي الفلسطيني المتصاعد

منهج البحث

هذا البحث بحث مكتبي يشير إلى الأدبيات ذات الصلة من الكتب والمقالات العلمية والمصادر العلمية الأخرى. المصدر الرئيسي للبيانات في هذه الدراسة هو أعمال كويرز. وفي الوقت نفسه، يتم أخذ مصادر البيانات الثانوية من الدراسات التي تبحث في البلاغة السامية، بما في ذلك المقالات العلمية والأطروحات والرسائل الجامعية وغيرها. في هذه الدراسة، تم جمع البيانات باستخدام طريقة التوثيق. لدى الباحث قائمة للبحث عن متغيرات محددة مسبقًا. إذا تم العثور على متغير محدد أو ظهر، فما عليك سوى وضع علامة اختيار في المكان المناسب. لتسجيل الأشياء الحرة أو غير المحددة في قائمة المتغيرات، يمكن للباحث استخدام جمل حرة. في تحليل البيانات، يستخدم المؤلف منهجًا تحليليًا وصفيًا من أجل دراسة التناس بين القرآن الكريم والكتب المقدسة لليهود والمسيحيين.

النتائج والمناقشات

الإطار النظري وأهداف التناس في فهم القرآن الكريم

مع أن التحليل البلاغي السامي يُركز أكثر على السياق الداخلي للآية أو السورة محل التحليل، ولا يتجاوز ما هو خارج النص، إلا أن كويرز لا يكتفي بذلك، بل يدعو إلى إضافة السياق التناسي للقرآن الكريم مع النصوص السابقة. ويُعدّ التناس جزءًا من النظرية الأدبية الحديثة التي تُتيح قراءة النص من خلال التركيز على علاقته بالنصوص الأخرى، بحيث يتفاعل مع الماضي والحاضر والمستقبل، ويتفاعل أيضًا مع القارئ والنصوص الأخرى (عزام، ١٩٩٦، ص ١٤٨).

تعتقد جوليا كريستيفا أن الدراسة النقدية المثمرة والفعالة للنص لا يمكن أن تتم إلا من خلال الاهتمام بالتوسع الأفقي لوظائفه، ومراقبة عملياته، وبالتالي ملاحظة كل الآثار التي يتركها وراءه، ومقارنتها بأصوله: لإنتاج معنى حقيقي يتوافق مع الواقع، ثم قراءة النص بعمق، من خلال استجواب اللاوعي الخاص به، أي: مصادره وتعليقاته (كريستيفا، ١٩٩٧، ص ٢٢).

يقول ميشيل كويبرز إن القراءة السياقية للنص والتي تتم بتحليل البلاغي تتطلب توسيع القراءة البينية، أي: قراءة النص من خلال الاهتمام بصداه مع نصوص أخرى من التراث الكتابي مرتبطة بالقرآن بشكل أو بآخر (كويبرز، ٢٠١٦، ص ٤٨١). ويبرز كويبرز أهمية الاستفادة من التناس في فهم بنية القرآن لعدة أسباب:

١. ويستشهد القرآن الكريم صراحة بالعديد من النصوص الكتابية، على سبيل المثال،

سورة المائدة الآية ٢٣ تقتبس من المشناه.

٢. ويترجم القرآن بعض النصوص المذكورة في الكتاب المقدس بطريقته الفريدة بشكل مفصل وأكثر وضوحاً، على سبيل المثال قصة النهي عن دخول الأرض المقدسة وجريمة القتل التي ارتكبها قابيل.

٣. ويشير القرآن إلى بعض نصوص التوراة بإشارات غير واضحة في بداية الموضوع من خلال استخدام بعض الكلمات المشابهة للنصوص العبرية أو اليونانية، والتي تقدم في سياق مشابه للسياق الذي ورد فيه القرآن (المُجَوَّد، ص ٩٠-٨٩).

إن استخدام كويبرز للتناس لا يمكن فصله عن عدة أهداف، وهي (١) تقديم فهم شامل لسياق القرآن، (٢) تأكيد سلامة بنية القرآن ومحتواه، (٣) تمكين نقد بعض الفرضيات الخاطئة

للمستشرقين فيما يتعلق ببنية القرآن، (٤) التمييز بين المعنى بين آيات القرآن التي تقع في وسط بنية نص الآيات وتلك الموجودة على الحافة (المُجَوَّد، ص ٣٥-٣٦).

تتضمن سورة المائدة عددًا من الآيات المحورية اللافتة، التي تبدو أحيانًا متناقضة مع الآيات المحيطة بها ضمن البنية الشاملة نفسها. تُقدم هذه الآيات المتحدة المركز مبادئ عامة تتسم بالانفتاح والتسامح. وهذا يتناقض مع الآيات اللاحقة، التي تتسم أحيانًا بالحدة في مسائل الشريعة والحزم التام في مسائل الدين. ووفقًا لكويبرز، يمكن استكشاف هذا الاختلاف باستخدام البلاغة السامية، مكتفيًا بتقديم أمثلة على آيات تلعب دورًا محوريًا في العلاقة بين الإسلام والمسيحية واليهودية (كويبرز، ص ٣٠). الآية الأولى التالية (سورة المائدة الآيتان ٤٨-٤٩) هي التي نسمعها عادة في الحوار الديني.

^{A٤٨} وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، ^B مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ،
^C وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ.
^C فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، ^D وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، ^E عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ

^{48F+} لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ	شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا ٥
^{G=} وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ	أُمَّةً وَاحِدَةً
^{H-} وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ	
^{I-} فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	
^{I=} إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا	

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٤٨ ^{K+}فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا

A49 وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ^B وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ^C وَاحْذَرُهُمْ أَنَّ يَفْتِنُواكَ
D عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ^E فَإِنْ تَوَلَّوْا ^F فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ
بِبَعْضِ دُنُوبِهِمْ ^G وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ٤٩
A50 أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ^B وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا ^C لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴿٥٠﴾

إن الأجزاء الهامشية من المقطع أعلاه (٤٨ A-E و ٤٩-٥٠) تشرح تمامًا شكل التاريخ غير المباشر، أي كيف قرر النبي صلى الله عليه وسلم الأمور بين أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) الذين عاشوا في المدينة المنورة (كويرز، ٣١).

في المقابل، يُضفي القسم المركزي (48F-K) طابعًا لاهوتيًا وأخرويًا عامًا على التعددية الدينية، النابعة من إرادة الله الحكيم (F-G). ولن يتكشف معنى هذه التعددية إلا بعودة البشرية إلى الله-(J).

(K) فالبشر في هذه الحياة -التي نعيشها اختبارًا من الله (H) -ليس لهم سبيل للخلاص إلا التنافس في الخير. (H-I) ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أهمية هذه الآية وواقعيتها، فمن اللافت للنظر أن هذا المبدأ اللاهوتي، المنتشر عبر التاريخ، هو محور هذه الآية، ومن الواضح أنها تهدف إلى توضيح الطبيعة الظرفية لبعض التعاليم التي أمر بها النبي، وأن لهذه التعاليم سياقًا محددًا يتعلق بحالة تكوين المجتمع الإسلامي لا أكثر. لذا، فإن بنية النص تدعونا إلى التمييز بوضوح بين مستويين دلاليين. الأول: مبدأ عام دائم، وهو محور هذا الباب، والثاني: اعتبارات تاريخية طارئة، وهي موجودة في ملاحقه (كويرز، ٣٢).

رأى المفكر الإصلاحي فضل الرحمن (ت. ١٩٨٨) أن هذه الآية المحورية هي الحل القرآني الأمثل لمشاكل عالمٍ متعدد المجتمعات. وقال: "لذا، تكمن القيمة الإيجابية للأديان والمجتمعات المختلفة في قدرتها على التنافس في الخير: فتنافسوا في فعل الخير (رحمن، ١٩٨٠، ص ١٦٧). وقد أثبت التحليل البلاغي لهذه الآية هذا التفسير بشكل ملحوظ.

تطبيقات التناس في سورة المائدة

تحتوي سورة المائدة على موضوعين رئيسيين. أولاً، العلاقة بين مجموعة من المسلمين ومجموعة من اليهود والنصارى. ثانياً، عدد من أحكام الشريعة، بعضها خاص بالمسلمين والبعض الآخر خاص بأهل الكتاب (اليهود والنصارى). ينتشر هذان الموضوعان في جميع أنحاء النص وفقاً لهيكل متوازي مرآوي. تنقسم سورة المائدة إلى قسمين رئيسيين. يبدأ القسم الأول بالآيات ١-٧١ والقسم الثاني بالآيات ٧٢-١٢٠. يتكون كل قسم من ثلاثة أقسام موازية للآخرين. توازي الآيات الأولى (١-٢٦) من القسم الأول الآيات الأخيرة (١٠٩-١٢٠) من القسم الثاني. بشكل عام، تتحدث هذه الآيات عن عهد الله وإبطاله. توازي الآيات ٢٧-٥٠ من القسم الأول الآيات ٨٧-١٠٨ من القسم الثاني. تتحدث هذه الآيات عن القوانين وقوانين الشريعة التي فرضها الله على المسلمين أو أهل الكتاب من قبلهم. في حين أن الآيات ٥١-٧١ في الجزء الأول توازي الآيات ٧٢-٨٦ في الجزء الثاني والتي تناقش العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب (الطاهري، ٢٠٢٣، ص ١٦).

من خلال هذا التقسيم، استطاع كويبرز تجاوز الحدود التي عجز عنها المفسرون والمستشرقون في إيجاد علاقات بين وحدات السورة، حيث يفترضون عادةً أن المعاني غير مكتملة، وأن التجربة تنتقل من موضوع إلى آخر. ويؤدي هذا الرأي إلى استنتاجات خاطئة، مثل تفسير وجود النسخ لدى المفسرين، ووجود أخطاء في تدوين القرآن الكريم، كما يرى بعض المستشرقين. وقد عمد

كويبرز إلى تحليل سورة المائدة، لما تحتويه من تناس مع النصوص اليهودية والمسيحية. ومن منظور البلاغة السامية، وُلدت سور القرآن الكريم في نطاق الثقافة السامية وقواعد الكلام التي تحملها (الطاهري، ٢٠٢٣، ص ١٧). فضلاً عن ذلك هناك قدر من التناس بين هذه السورة والكتب المقدسة للقدماء السابقين.

يظهر أول تناس في قصة قابيل وهابيل في الآيات ٢٧-٣١. ووفقاً لكويبرز، ترد هذه القصة الدينية في سفر التكوين، الإصحاح الرابع، الآيات ١-١٦. إلا أن سورة المائدة تُقدّمها في شكل حوار، وهو ما لا نجده في سفر التكوين. مع ذلك، نجد هذا الحوار في نصوص دينية يهودية أخرى غير التوراة، تُسمى "الترجمات". والترجمات هي شروحات، وتفسيرات، وتطورات شفهية للكتاب المقدس العبري، يُقدّمها الحاخامات بلغة يومية لمستمعهم، في فترة كانت اللغة المستخدمة فيها هي الآرامية. وبمقارنة النصين، وجد كويبرز اختلافات جوهرية. ففي سورة المائدة، يُجيب هابيل أخاه عندما يريد قتله. يرضى هابيل بالخضوع لله دون جدال أو دفاع عن نفسه. في هذه الأثناء، يبدو أن قابيل نادم على أفعاله السيئة. كما تحتوي الترجمات على حوار يتعلق بيوم القيامة ويوم الحساب في شكل مناظرة. أنكر قابيل البعث والحساب، وكذلك العقاب والثواب. وأنكر أخوه إنكار قابيل. يثير اختلاف أشكال ومحتوى هذه الحوارات تساؤلات عديدة حول هدف هذه القصة في النصوص الثلاثة: سفر التكوين، والترجوم، والقرآن الكريم (كويبرز، ٣١-٣٢).

استنتج كويبرز أن الرواية القرآنية منفصلة عن روايات التوراة والترجوم. ويتجلى هذا الانفصال في خلوها من القسوة وسفك الدماء، مع كسوها باللفظ والتسامح. ويتجلى ذلك تحديداً في قول هابيل بالاستسلام والرضا رغم قدرته على رفض القسوة والقتل. وبالمثل، فإن قول قابيل بالندم واعترافه بأفعاله دفع كويبرز إلى الاعتقاد بأن هذه الرواية القرآنية تحمل دلالات مسيحية،

كما يتضح من التداخل بين سورة المائدة، الآية ٢٩، وإنجيل متى، الإصحاح ٢٣، الآية ٢٩. في حين أن قصة الغراب الذي أرسله الله لتعليم قابيل الدفن مستمدة من المدراس. المدراس مصطلح يهودي يُشير إلى منهجٍ وعظيٍّ لدراسة النصوص الدينية. ويشمل هذا المصطلح جميع التعاليم الوعظية من الكتاب المقدس العبري. وهكذا، فإن قصة قابيل وهابيل في سورة المائدة هي مزيجٌ من ثلاث قصص من التوراة والتراجوم والإنجيل. هذا لا يعني بالضرورة أن القرآن الكريم قد انتحل نصوصاً سابقة أو أعاد إنتاجها، مُدخلًا عليها تعديلاتٍ وتنقيحات. المعنى الحقيقي هو أن عناصر هذه القصة متناثرة في كلٍّ من هذه النصوص، ولكنها تُروى في القرآن الكريم بأسلوبٍ مميز، مؤكدةً على معنى الرسالة الإسلامية المُلتزمة بمبادئ التوحيد، نظريًا وعمليًا، بما في ذلك تحريم جميع أشكال الفساد في الأرض (الطاهري، ٢٠٢٣، ص ٢٠-٢١).

ويظهر التناص الثاني في الآية: 32

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ٣٢ ﴾ (المائدة/٥: ٣٢)

النقطة المهمة في هذه الآية هي فعل "كتبنا" نحن نضع قانونا (في بداية الآية، والمفصلة في الآية ٤٥)، تتشابه بشكل واضح مع نص سفر الخروج، الفصل ٢١، الآيتان ٢٣-٢٥. والأهم من ذلك، أن فعل "وضع شريعة" المنسوب دائماً إلى الله لا يظهر في القرآن إلا في خمسة مواضع، تبدو جميعها اقتباسات من الكتاب المقدس. مع ذلك، يستبعد كويرز الآية ٣٢ من سورة المائدة من اقتباس المشناه. المشناه سجل مكتوب للشريعة الشفهية للتوراة من اليهود جيلاً بعد جيل. لا يُثبت هذا الاقتباس صحة رأي المنتمين إلى مدرسة النقد التاريخي اللغوي. ينص القرآن بوضوح فيما يتعلق

بإشارته إلى أن الأحكام الشرعية تنطبق على بني إسرائيل. وأفضل مثال على ذلك سورة الأعراف الآية ١٤٥ وسورة الأنبياء الآية ١٠٥، ففي هاتين الآيتين ورد ذكر واضح للمراجع التي استخدمها القرآن، وهي ألواح موسى (التوراة) والزبور، على عكس سورة المائدة الآية ٣٢ التي لم تذكر المراجع (كوبيرز، ص ٣٣-٣٥).

أما التناص الثالث فيظهر في قصة النبي عيسى عليه السلام، وخاصة في سورة المائدة الآية ١١٠. وقد اختار كوبيرز مقطعاً من الآية (إذ أيدتك بروح القدس) لإثارة عدة تساؤلات حول معنى كلمة الروح القدس في التفسيرات الكلاسيكية مقارنةً بالمعلومات الواردة في النصوص الدينية المسيحية السابقة. فبينما يُفسر غالبية المفسرين الروح القدس على أنه اسم يُشير إلى الملاك جبرائيل، تُخلص النصوص المسيحية الآرامية إلى أن هذه الكلمة تعني العنصر الثالث من العقيدة التثليثية (الله/الابن/روح القدس). ومع ذلك، يستخدم القرآن هذه الكلمة بمواضع مختلفة في جميع المواضع، مما يدل على رفضه للعقيدة التثليثية وقوله إن الله هو المسيح. وفي جميع الآيات، تُشير هذه الكلمة إلى معنى التعزيز والدعم والمساعدة التي يتلقاها البشر من الله على شكل إذن من قدرته لمساعدة رسله في مواجهة العقبات والصعوبات التي يواجهونها أثناء الوعظ. ويتجلى هذا المعنى نفسه بوضوح في إنجيل متى، الإصحاح الرابع، الآية الأولى، وإنجيل لوقا، الإصحاح الرابع، الآية ١٨. ويشير فعل "أيدتك" المذكور في الآيات السابقة إلى إنجيل يوحنا في الخاتمة (الطاهري، ٢٣، ص ٢١-٢٢).

الخاتمة

حاول كوبيرز دراسة أهم نقاط التقاطع بين النص القرآني والنصوص الدينية اليهودية والمسيحية. وليس ذلك للقول إن القرآن عملٌ وسط نصوص دينية كلاسيكية تنحرف عن العقيدة والشريعة في صورة قصص مكدوبة، كما زعم بعض المستشرقين، بل يهدف إلى بيان تجذر هذا النص

في الثقافة الدينية السامية، التي يتواصل معها القرآن دائمًا ولا ينكر صلته بها، ويسعى إلى تجاوزها لبناء لفظ ديني جديد يستوعب أدنى حدود الانسجام بين مختلف الأديان في إطار التوافق المشار إليه في بداية سورة المائدة وخاتمتها.

وهكذا، فإن كلمة "القرآن" على المستوى البنيوي هي كلمة دينية مبنية على قواعد البلاغة السامية، وعلى المستوى المضموني، هي كلمة تتجاوز الديانتين الساميتين الأشهر والأوسع انتشارًا، وهما اليهودية والمسيحية، لتشكل دينًا جديدًا شقيقًا لكلا الديانتين، مع تصحيح التغيرات التي حدثت فيهما. ورغم أنها لا تقدم مساهمة عملية في إشكالية التوجهات الدينية والإنسانية العالمية، إلا أن دراسة دينية كهذه لا تزال ذات مغزى، على الأقل في ربط المشاعر والأفكار بين العلماء الذين يركزون على دراسة الكتب الدينية. ومن المؤكد أن أوجه القصور في هذه الدراسة تعود إلى أن عرضها لا يزال يبدو نظريًا وغير قادر على الوصول إلى المجتمعات الدينية على نطاق واسع. ويُؤمل في الأبحاث المستقبلية أن تكون هناك دراسة متعددة التخصصات أكثر جدية تشمل العلوم الاجتماعية لتحقيق الفوائد المرجوة.

المصادر والمراجع

الأصفهاني، (١٩٩٩). تفسير الراغب المجلد ١. كلية الآداب – جامعة طنطا.

الباقلاني، أ. ب. (١٩٩٧). إعجاز القرآن. دار المعارف.

بوترا، ديليو إتش (٢٠٢٠). لغويات القرآن الكريم: تحليل المعنى في الأعراف اللغوية. دار

الأدب للنشر.

بواسليفو، أ. س. (٢٠١٣). مراجعة كتاب: العيد: قراءة في سورة المائدة. مجلة الدراسات

القرآنية، ١٥(٢)، ١١٩-١٢٣.

- الجرجاني، ع. ق. (١٩٩٢). دلائل الإعجاز المجلد ١. مطبعة المدني.
- الخولي، أ. (١٩٩٦). دراسات إسلامية. دار الكتب المصرية.
- الزبير. (٢٠١٧). الأسلوبية العربية: دراسة لآيات الزواج في القرآن الكريم. أمزة.
- عزام، م. (١٩٩٦). النقد والدلالة نحو التحليل السيميائي للأدب. المنصورة وزارة التسقافه.
- الفراحي، ع. ح. (١٩٦٨). دلائل النظام. المطبعة الحميدية.
- الفراحي، ع. ح. (٢٠١٢). نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. دار الغرب الإسلامي.
- المجود، م. ي. منهج البلاغة السامية في الدراسة بنية القرآن الكريم: دراسة وصفية نقدية. مركز تفسير للدراسات القرآنية.
- المجود، م. ي. (٢٠٢٠). البلاغة السامية مدخلان للكشف عن وحدة السورة القرآنية: دراسة وصفية تطبيقية لجهد ميشيل كوير. الإسطرلاب، ٩(١)، ٢٧-١.
- منزو، ت. (٢٠١٨). موقف مدرسة البلاغة السامية من قواعد التفسير الإسلامي: أسباب النزول والنسخ أنموذجا. مجلة الموثق، ٢(١)، ٣٨٩-٤١٧.
- نولدكه، ت. (٢٠٠٤). تاريخ القرآن (ف. شوالي، ج. تامر). كونراد أديناور.
- رحمن، ف. (١٩٨٠). المواضيع الرئيسية في القرآن الكريم. المكتبة الإسلامية.
- سيناء، ن. (٢٠١٧). مقال مراجعة: الدوران في دوائر. مجلة الدراسات القرآنية، ١٩(٢)، ١٠٦-١٤٧.
- الطاهري، م. نظام الخطاب في القرآن من منظور البلاغة السامية www.mominoun.com.
- للدراسات والأبحاث.

كويبرز، م. (ر.ت.أ). البلاغة السامية في القرآن (ك. م. اليماني). مركز تفسير للدراسات

القرآنية.

كويبرز، م. (ر.ت.ب). الكتاب المقدس والقرآن: نسخ أدبي واحد (عبير عدلي). مركز تفسير

للدراستات القرآنية.

كويبرز، م. (٢٠١٦). في نظم سورة المائدة: نظم أي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي. دار

المشرق.

كويبرز، م. (٢٠١٦). في نظم القرآن. دار المشرق.

كريستيفا، ج. (١٩٩٧). علم النص (ف. زاهي). دار طوبقال.

تم الاسترجاع في ١٠ يناير ٢٠٢٣، من <https://st-takla.org/books/helmy->

[elkommos/biblical-criticism/new-testament/24.html](https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/24.html)